في الغربة لا تكن ليناً فتعصر

الاعتزاز بسوريتك له رونق آخر حيث يسقط كل شيء إلا هي

وسام حمود- السويد

للمرة الألف تشحن نفسك بهالات إيجابية وتقرر بينك وبين نفسك أن تكون قاسيا كي تستمر عجلة الحياة من دون أن تنكسر..

هذا الخطاب تسمعه كل يوم على لسان الكثير من السوريين الذين لم يعتادوا الغربة ، والذين ظنوا أنهم ملاقو النعيم بعيدا عن بلادهم ، وأن أجنحة الأمل ستطوقهم وسيجدون كل ما تتمناه النفس من رغبات.

قد يعتقد البعض أني لست سوى ناقلة للفاجعة البشرية في أوروبا ، وأني أصدر خيبات الأمل للقارئ العربي، وأن كل حروفي ما هي إلا نتاج أزمة نفسية ، ولكني وبكل أمانة ورؤية بصرية حادة أرى أن كل واحد فينا بات مخزونا للعلل والأوجاع التي لم يتم اختبارها من قبل.

هنا أنت لست ملك نفسك، أنت ملك للآخر الذي يعطيك قوت يومك مقابل أن تعود طالبا على مقاعد الدراسة، فاللغة هي حتما مفتاح أي بلد تعيش فيه، ولكن بين قوسين أنت لا يمكنك أن تأكل أو تشرب إن لم تكن منضبطا وملتزما بالساعات التي حددت لك وراء مقعدك وكتبك..

هناك من تجاوز اللغة واستلم المفتاح وبدأ رحلة البحث عن العمل، ومع ذلك لا تتوقف الشكوى العربية، فحين تعمل يقتطع من دخلك الشهري ثلاثون بالمئة ضريبة، فتبدأ الحسابات..

هنا الهموم لا تشبه همومنا في دمشق، لها طعم يشبه حبة البنادول حين تتناولها من دون ماء، فنهارك ليس كسابقه لا تقدر على القيام بأكثر من مهمتين في يوم واحد، فأنت تشعر بهيمنة الوهن على جسدك، بينما هناك كنا نقضي يومنا في إنهاء كتلة من المهمات التي لا تنتهي، وتسأل عن السبب من دون الوصول لجواب شاف.

هنا أن تكون لينا يعني أن تعصر، ومن يعصرك هو ابن جلدتك، نعم، المال يتكلم، والطمع سيد الموقف، ولا تعلم لم، النفوس هنا لا تشبه النفوس هناك لهذا الحد، ولا نريد الاسترسال بكم، الاستغلال من أبناء البلد الواحد كي لا نتهم بإثارة النعرات، ونترك القصص للقادم، فكل شيء سيطفو على السطح.

السوريون حديث العالم

أكلتوا الجو.. مصطلح عامي للدلالة على السيطرة.

خربتوا الدنيا، أيضا مصطلح عامي للدلالة على إثبات الوجود.

السوري طالع بأكل، نازل بأكل، مصطلح عامي للدلالة على المكاسب والرزق.

هذا ما يوصف به السوريون في أوروبا، إنجازات على أرض الواقع، إتقان للغة في زمن قياسي، الاندماج في المجتمعات الأخرى بأقصى سرعة، تأسيس شركات، ومؤسسات، ومطاعم، ومقاه، في السلك التعليمي، أطباء، وغيره من المجالات الأخرى المتاحة أمامه ليكون عنصرا فاعلا وليس عالة على مجتمعات الغرب.

كل ذلك جعل السوري حديث الساعة، ورواية ليالي السمر، سنوات ليست طويلة جبلوا فيها قوة، وإرادة، وتصميماً، تجاوزوا حدود الغربة رغم غصة الفراق، وألم الوداع.. ناهيك عن صفحات التواصل الاجتماعي التي باتت تعج بالأسواق السورية، حين تتصفح المواقع تجد انك لست مضطرا للتسوق فكل ما تريده تجده عند تلك الصفحة وغيرها.

حين حرم السوري من خيرات بلاده لم يعجز، فالجبن البلدي، والحلويات السورية، سيدة السوق بكل امتياز، إضافة لكل ما يخطر في بالك من مأكولات أخرى..

هنا واجه أزمة القادمين الجدد، وهكذا يطلق عليهم اليوم، والقادمون القدماء يرون أن حالهم بات صعبا، فغيرهم جاء بأفكار وإبداعات وطاقات لفتت انتباه الآخر الغربي لها، وبدأ يتعامل معهم كشركاء في كثير من الأمور، فالغرب يعشق الإبداع والتفوق والتميز، ويكون سعيدا حين يشعر انك قادر على كسب رزقك بنفسك من دون الحاجة لمساعدته، وهذا ما أفسح المجال أمام العديد من الجهات الرسمية الغربية في السويد على سبيل المثال لدعم الكثير من المشاريع الخلاقة والمهمة.

سورية وأفتخر.

هنا فقط الاعتزاز بسوريتك له رونق آخر، هنا تسقط الطائفية، والمذاهب، والديانات التي تسعى كل أطراف الأرض لزرعها في بلادنا، هنا تفرح لنجاح سوري، وتحزن لإخفاقه، هنا تشعر من أعماق قلبك أنه واجب عليك أكثر من ذي قبل مناصرة ابن البلد أكثر من أي يوم آخر.

هناك الكثير من المؤيدين، وكثير من المعارضين، يتواجهون ويتصادمون في المواقف السياسية المتخبطة، وحين يحق الحق ترمى النقاشات السامة، لتتحد النفوس أمام موقف صعب، وكي نتسم ببعض الواقعية لا يخلو الأمر من الشوائب.

في الغربة الحرف العربي الذي ينطق على أرصفة الشوارع يجعلك تلتفت لتنظر إلى صاحبه وترمي له ابتسامة المتسول الجائع لكلمة (مو) فهي كلمة السر في سوريتي، فترمي عليه نظرة جائع لحضن الوطن.

في الغربة حديث السوريين في الباصات يعيد نفسه كما كان في السرافيس التي تمر في حارات دمشق، حكايات طويلة تحمل هموم أصحابها، وألمها، وأخبار سورية، والوجع لا يحتاج شرحا فهو مع كل آه ونبرة حرف.

في الغربة.. نتلفت في الشوارع بحثا عن وجه نعرفه ربما إذا توقفنا معه لدقيقة نغسل بعضا من قهر.

في الغربة نتلمس أخبار بلدنا ليس كما كنا فيها، فكل خبر يجعل القلب يرتجف وكأن نبضه الأخير على وشك الصمت.. في الغربة كل ألوان السماء تعتصرنا، وكل أشكال الفصول تجلد فينا، فهي لا تحمل شمسا كشمس بلادي، ولا تهبنا رائحة أول مطرة على الأرض هنا الأرض رطبة دوما، مقلقة، هنا الأرصفة أجمل من أرصفتنا، والشوارع أكثر نظافة، وترتيبا وأناقة، ولكن لم نرم عليها قصص الحب، والفراق، بصحبة الأحبة، والأصدقاء، هنا تفتقد للذاكرة.

في الغربة أصبحت ذاكرتنا معطوبة، متجمدة، والصور الجديدة لا تجد لها مكانا، فالذاكرة ممتلئة بدمشق ولا مكان لعشق آخر.

اللوحة تحمل فراغاً أبيض يستفز الفنان

عبد الله مراد لـ«الوطن»: لا أجد صبراً في عمل لوحة واقعية والتجريد يعبّر عن نزقي الداخلي

سوسن صيداوي

«ليس إلا التفاؤل وبعض الأمل هو ما يمنحنا القدرة على العيش ومواصلة الحياة». جملة ختم بها الفنان التشكيلي عبد الله مراد عبارات كانت بطاقة تعريفية عنه وعن فنه، صدّرها بإطار وسط لوحاته التي قدّمها خلال معرضه في صالة غاليري كامل بدمشق. مجموعة لوحات عددها ثلاثون عملا، لخصت تجربته الفنية منذ عام ٢٠١٠ والتي عكست ما دار في نفسه وخلده من مشاعر وأفكار، معرفا عن نفسه بقوله «كفنان أعشق كل ما يجعل الحياة في ألق دائم وتوهج. وما كان الفن على مدى التاريخ إلا دعوة ضمنية للحرية والانعتاق في عالم ما زال يكتنفه العنف والفوضى وانعدام العدالة». وهذا أمر طبيعي وواضح من خلال أعماله التي تتضامن معه وترفض الرتابة، لأنها لا تحمل أي إصرار في الاستمرار في موضوع، بل هي خاضعة للحظية بحتة. وعن اللوحات هناك الكثير مما يقوله الفنان وما أضافه الزوار. وإليكم المزيد.

> الفن ليس بتقليد الطبيعة بل بإعادة تشكيلها بشكل جميل

تجريد بلا تعقيد

شرح الفنان مراد بأنه بالعموم يحب ألا يحمّل اللوحة ما لا تحتمله من سرد وأفكار، فهو يعتبرها شيئاً تحقق وجوده في لحظة ما نتيجة صراع عبثي مع الخامات والأدوات، مضيفا بأن هذا العبث يحاكي حياتنا ووجودنا ودائما يرى بأن التصوير لغة تتشكل من الصمت، تُسمع بالعين وتُدرك بالبصيرة، متابعا «بصراحة عندما أبدأ بلوحتي لا أكون محددا للموضوع، فالتجريد لا يحتمل الأفكار والمواضيع المعقدة أو الصعبة، بل هو عبارة عن تشكيل من مساحات وبقع لونية تتصادم مع بعضها لتشكل حركة على سطح العمل، حيث تُحدث إيقاعاً مشابهاً للإيقاع الذي تحدثه الموسيقى، فكما العازف يرتجل النوتات أو يضعها من أجل أن يحقق غايته في التأليف، كذلك الفن التجريدي الذي لا يمكننا أن نوصفه بالموضوع بأنه مثلا عاصفة أو مطر أو طبيعة صامتة. هذا وأحب أن أضيف بأن التجريد بالنسبة لي هو كالفضاء الواسع، وأنا لا أجد في نفسي صبرا بأن أعمل مثلا لوحة واقعية، لأنّ التجريد يمنحني مجالا أوسع للحرية، ويعبّر عن النزق داخلي. ومن جهة أخرى، دائما الناس يسألونني (ماذا تمثل اللوحة؟). وللصدق هذا سؤال مربك للرسام، فعلى المشاهد أن يتقبل اللوحة وأن يتقبل العمل الفني كمنتج مصنوع بنوع من الابتكار. وفي النهاية أرى بأن الفن ليس بتقليد الطبيعة، بل هو بإعادة تشكيلها بشكل جميل».

وحول العلاقة التي تربط الفنان باللوحة أضاف: «في الحقيقة هناك علاقة جدلية بين الرسام واللوحة، فاللوحة دائما تحمل فراغاً أبيض يستفز الفنان بملء السطح بالألوان والتشكيل، وحتى العلاقة- يمكننا القول- حميمية بين الفنان والعمل الفني الذي يبوح من خلاله عن مكنوناته الداخلية».

أعمال بأحجام وبألوان

بالعودة إلى البطاقة التي عرّف بها الفنان التشكيلي مراد أعماله أشار إلى أن التصوير بالنسبة له هو عمل مملوء بالألغاز المحبوكة بتأثير التجاوب والتنافر بين البقع والخطوط والأشكال، وديناميكية العمل تنتج من تأثير هذه التصادمات بين العقل والمنطق وبين الانفعال العاطفي المتأجج، مضيفا حول الأعمال «اللوحات كلّها من عام ٢٠١٠ وهناك بعض الأعمال الجديدة، وكلّها توضح مراحل تطور التجربة، فهناك ببعضها يغلب التجريد ويغلب ببعضها الآخر بأن يكون التلوين مأخوذاً من الطبيعة من الليل والنهار بهكذا إيحاءات. أما بالنسبة للألوان، التنوع بها هو حسب الحالة النفسية لدي والظروف التي تحيط بي وتؤثر فيّ، وهذا ما يدفعني حينا للتلوين بالرماديات، وأحيانا أخرى بالتلوين بالألوان الحارة، وعلى العموم أرتاح إلى اللونين الأزرق والرمادي، وأرمز للأزرق إلى المطلق كالبحر الواسع والسماء الرحبة، كما أنني أرتاح إلى الترابيات والألوان الحارة، إذا الأمر متعلق بما ذكرته سلفا». وبالنسبة لتفاوت الأحجام في الأعمال التي قدمها أضاف «أجد بأن اللوحة الكبيرة فيها الكثير من التحدي وذلك من خلال السيطرة عليها وعلى المساحات بها، ولكن هذا لا يقلل من أهمية اللوحة الصغيرة والتي أجد فيها المتعة».

وختم حديثه بالشرح عن سبب ابتعاده عن الساحة الفنية بأن الوضع سابقا لم يتح له العمل، في حين اليوم وبالرغم من كل الظروف فهي مهيأة بشكل أكبر كما تسير نحو الانفراج والطمأنينة، مؤكدا أن هناك الكثير من التجارب الشابة الناضجة في العمق والتفكير، والتي تحدت كل الظروف خاتما «هناك إخلاص واهتمام كبيران بالعمل الفني، وهذا ما يجعلنا نأمل خيرا بأن للحركة التشكيلية مستقبلاً واعداً».

آراء حول

خلال الافتتاح حضر الفنان التشكيلي أحمد أبو زينة الذي هو بالأصل صديق للفنان مراد وكان زميلا معه في الجامعة، حيث تحدث عن الفنان قائلا «بالرغم من وجود الرماديات في اللوحات إلا أنني لا أعبر عنها بكلمة كآبة، فالكلمة مرفوضة في أعماله، وبالطبع الفنان مراد له اسمه بالفن التشكيلي السوري والعربي وحتى العالمي، ولأني أعرفه جيدا وكان زميلا لي في الجامعة، هذا مكنني من مواكبة أعماله ومسيرته، فأنا أجد بأن أعماله تبث دائما الفرح والسرور. وفناننا أعماله دائما وليدة اللحظة، فهو يعمل من دون مقدمات أو أفكار حتى لو كان في اللوحات صخب، والمعرض جميل جدا وهذا أمر متوقع».

من جانبه أثنى الفنان التشكيلي علي الكفري على الأعمال قائلا «علاقتي مع الفنان مراد قاربت أربعة عقود، وهو لم يتغير أبدا ولوحته بالتالي لم تتغير، وأي لوحة يراها المشاهد يعرف بأنها تخص فناننا، وذلك يعود للأسلوب الذي يتمتع به والذي يصعب وجوده عند فنان آخر، وخاصة بأنه قادر على السيطرة على اللوحة مهما كانت كبيرة لأنه يضع إحساسه بها مستندا إلى كل ما اكتنزه من ثقافة فنية عالية».

حفل تأبين للباحث والمفكر السياسي الدكتور «سهيل عروسي» في ثقافي الحسكة

الحسكة - دحام السلطان

أقام فرع اتحاد الكتاب العرب ومديرية الثقافة في محافظة الحسكة حفل تأبين للباحث والمفكر السياسي الراحل الدكتور سهيل عروسي، الذي طالته يد الغدر والإجرام وعثر عليه مقتولاً في منزله الكائن في مدينة الحسكة في اليوم الثالث عشر من شهر نيسان الجاري.

ووسط أجواء سادها الحزن وقلوب يعتصرها الألم والأسى على الفقيد الراحل، أفتتح حفل التأبين بعرض فيلم وثائقي أرشف خلاله مراحل العطاء التي قدمها الدكتور عروسي، والتي قضاها بين منابر العلم وصفحات الكتب والبحوث والتأليف والمنابر الفكرية، بعدها ألقى المعنيون بالشأن الثقافي وأصدقاء الراحل وذووه كلمات عبرت عن حزنهم العميق للفاجعة التي تلقاها أبناء محافظة الحسكة برحيل علم من أعلام الفكر فيها، ومنارة من منارات الإنسانية والتسامح والإخاء.

وبيّن مدير الثقافة محمد الفلاح: إن محافظة الحسكة ودّعت اليوم مفكراً غزير العطاء صاحب فكر وقّاد محباً للإنسانية، تجسّدت عبقرية فكره في مسيرة البذل التي دامت لعشرات السنوات لتطفئ نور علمه يد الغدر والإجرام وتزرع في نفوسنا حزن اللوعة والفقد.

وقال رئيس فرع اتحاد الكتاب العرب منير خلف: إن الكلام يتلعثم في حضرة الغياب ليزيد في نفوسنا الحزن، فالحسكة أدركت كيف تبكي الراحل بصمت تبكي علماً منيراً في سماء الأدب والفكر بذل حياته لبناء الإنسان والأرض والعيش تحت خيمة وطن واحد موحد يوحدنا ويجمعنا.

أما الباحث أحمد الحسين وفي الكلمة التي ألقاها باسم أصدقاء الراحل فأكد: أنه عاش معرضاً عن اللغو ماشياً على الأرض هوناً تلاقت في نفسه التضادات ليشرق بين سطور كلماته نور الحكمة، واليوم أصدقاؤه يعيشون الذكريات الجميلة الماثلة في عقولهم محتفظين بصورته الرائعة كإنسان رهن نفسه للخير والمحبة.

كما قدمت الشاعرة جازية الشيخ علي شهادة بحق الراحل قائلة فيها.. كلمتا «الوفاق الوطني» هما أفضل تعبير لوصف الراحل الذي كان يمثل الصدق بكل معانيه، أما الأيادي الآثمة التي أرادت من فعلتها بث سموم الفتنة والتفرقة فنقول لها: لن تنجح محاولاتكم فنحن نعيش بمدينة تربّى فيها أبناؤها على المحبة والوحدة الوطنية والعيش المشترك.

أما الدكتور أحمد الدريس فقال في شهادته: إن الراحل غادر هذه الدنيا تاركاً خلفه بذور فكره لتثمر أدبا وعلماً وأخلاقاً عالية، فكانت كتابته عقابه المقدس ليبقى ما سطّرت يداه ساطعاً كسطوع الشمس وراسخا كرسوخ الجبال.

وفي كلمة مطرانية السريان الأرثوذكس قال الأب كميل أسيو: إن الفقيد رحل جسداً وبقي ماثلاً في عقولنا فكراً وأدباً، فقد كان مثالاً للرجل الصالح الذي أحب الناس وبادلوه المحبة فكان خبر رحيله صدمة لأبناء المحافظة أجمعين.

أما فضيلة الشيخ الدكتور ياسين الحسن وخلال إلقائه كلمة رجال الدين الإسلامي أكد: إن الكلمات تقف عاجزة أمام هول الحدث وعظمة رجل رهن نفسه ووقته لزرع المحبة والتآخي للإنسانية جمعاء متمثلاً نهج جميع الديانات السماوية.

واختتم حفل التأبين بكلمة لذوي الراحل ألقاها عبد الأحد عروسي شقيق الفقيد، الذي تحدث بلوعة عن عمق الجرح والحزن الذي تركه الراحل في قلوب ذويه ومحبيه وأصدقائه شاكراً كل من ساندهم ووقف إلى جانبهم في هذا المصاب الجلل.

يُشار إلى أن الفقيد من مواليد مدينة الحسكة عام ١٩٥٢، وقد بدأ مرحلة الكتابة في أواسط السبعينيات من القرن الماضي في عدد من الدوريات والصحف المحلية والعربية، وله نشاطات متعددة في العديد من المراكز الثقافية على مستوى القطر، ولديه من المؤلفات تسعة كتب هي: «تحديات المستقبل»، «من عناوين المجتمع القادم»، «حوار الحضارات»، «ثقافة القوة»، «المأزق العربي»، «الحداثة»، «إشكالية الثنائيات في القوة العربية»، «الحوار المسيحي- الإسلامي»، «المجتمع المدني والدولة».

وعن المناصب الإدارية والسياسية التي شغلها، فقد تقلّد عدة مناصب إدارية وسياسية في مؤسسات الدولة، منها: رئيس مجلس مدينة الحسكة، عضو قيادة فرع حزب البعث العربي الاشتراكي في الحسكة، عضو مجلس الشعب السوري، رئيس فرع اتحاد الكتاب العرب في الحسكة، رئيس اللجنة المؤقتة المكلفة بأمانة فرع الحزب في الحسكة، عضو هيئة تحرير مجلة «الفكر السياسي».

العمارة والزخرفة في العصر الفاطمي

الوطن

صدر عن وزارة الثقافة، الهيئة السورية للكتاب، كتاب بعنوان «العمارة والزخرفة في العصر الفاطمي» لكاتبه المؤلف غالب المير غالب، ويسلط فيه الضوء على العمارة الفاطمية وزخرفتها، تلك العمارة المهمة والفريدة بتشكيلاتها، التي تعرضت للإيذاء والتشويه، كما نسب ما تركه الفاطميون من آثار عظيمة إلى غيرهم، علماً أن حجم ونوعية وفنية العمارة الفاطمية، تشير إلى عظمتها التي وصلت في أوجها إلى المراتب الرفيعة بين الدول المعاصرة لها، ولا يزال الكثير من آثارها يدل عليها، وهناك صروح كبيرة من نتاج الفاطميين باقية حتى اليوم تعاند الزمن في مصر والمغرب العربي واليمن وبلاد الشام، والزخرفة الفاطمية المتأثرة بالعقيدة الإسلامية بشكل مباشر، هي انعكاس لما يتفاعل في صدر الفنان والمعماري من إيمان، جسده خطوطاً وحروفاً منتقاة من آيات القرآن الكريم، إضافة إلى الرسوم النباتية رائعة الجمال والتنسيق.

صور ثقافية فكرية متأصلة

وذكر المؤلف في مقدمة الكتاب: «إنه في أعماق العمارة تكمن تفاصيل دقيقة لمعارف عقلية عديدة، وفي تشكيلاتها المتعددة صور ثقافية فكرية متأصلة منذ آلاف السنين، والعمارة إضافة لكونها تحفظ الإرث الاجتماعي والثقافي بمختلف عناصره، فهي الصيغة المثالية والصورة الحقيقية للحضارة التي أبدعتها، كما أنها العمود الأساسي للهيكل الحضاري القديم والمتعاقب حتى عصرنا الحالي، والعمارة هي أحد أشكال القوة والمجد والمعرفة التي وصل إليها المجتمع المنتج لصروحها، وقد تنوعت فنون العمارة التي شيدت خلال المراحل التاريخية القديمة، وتطورت مع توالي الحقب التاريخية واستمرارها بوساطة علوم أصيلة زاخرة بالمنهجية المعرفية الدقيقة، تلك المنهجية صاحبة الأهداف الراقية والسامية بوضوحها، التي يتقبلها العارف كإبداع جديد يضيف إلى المصوغات القديمة معالم وآفاقاً جديدة، وقد امتزجت العمارة بمختلف العلوم المعروفة، وتماهت مع قوانينها وأسسها وطرق تحقيق نتائجها، فالفلسفة على سبيل المثال تتناغم مع أحجار المبنى وتتفاعل مع كل مدماك وجدار في طريقة الرصف والتثبيت والاتصال مع الأسقف والأرضيات، هذا التناغم والتفاعل كلما كان دقيقاً وواضحاً كانت العمارة صحيحة وتامة في مكوناتها الأساسية المشكلة للعمل المعماري المتقن وللهندسة المعمارية الحاوية عدة علوم ومعارف، أهمها الحساب الرياضي، والهندسة المستوية، والهندسة الفراغية، والجبر والفلسفة والتقنيات اللغوية التي تواكب التاريخ والآثار، وقد عرف العرب هذه النماذج الفكرية وتعاملوا معها بثقة شديدة ومعرفة وعلم وحرفية نادرة، حيث عمل أزميل المعماري ضمن أسس فلسفية ورياضية واضحة المعالم في المنشآت العمرانية وفي توزيع وحداتها، وفي زخرفتها وإضفاء الألوان عليها وعلى النقوش المحفورة في جدران وأسقف تلك المنشآت، كما أنها تجذب الباحث والمنقب في علاقة أجزاء المبنى مع بعضها البعض ككتل متباعدة ومتلاصقة ومتوازنة مؤلفة لوحة فنية جميلة الملامح».